عراقيّات ٢٠٠٦

. شوقي عبد الأمير* .

كلوروفيل

بينَ الأنهارِ والسكاكين،
بين القُبورِ والصُدور،
وجوهٌ عراقيةٌ وربيعٌ آت ٢٠٠٦ .
حذارِ أن تُصدّقوا ألوانَ الأرضِ في هذا الفصل!
انظروا إلى شُحيراتِ الزعفران،
وإلى الشقائقِ الحمراء:
لقد شَبّتْ بسُرعة،
والأرضُ لمّا تزلْ مَنقوعةً بالدمِ والبلازما،
مُختلطةً شقوقُها بالبشراتِ والبكتريا.
هذا اللونُ الأخضرُ ليسَ للكلوروفيل؛
لعلّه آتٍ من عَرقِ جُثّةٍ تُقاومُ التفسُّخَ،
أو هو حُلمُ طفلٍ قُتِلَ وهو نائم،
لا بل هو برقٌ لرعدِ الأرض.
حذارِ.. حذارِ!
لم يمرّ الوقتُ الكافي لتُصبحَ كلُّ هذه الأشلاءِ
والأطرافِ المبتورةِ نباتيةً وحسبْ.

التويجاتُ ما تزالُ فاغرةً،
والبَتَلاتُ مُلطّخةً،
والندى يملأُ مآقي السواد.

باريس (٢٠٠٦/٥/٩)

تلك مزهريات...

المنائرُ
شواءٌ ميتافيزيقي.
والمارّة محارقٌ متنقّلةٌ للجُثث
التي لا تَقوى على حَملِها حتّى الكلمات.
أما الرّماد
فسيتراكمُ على الوُجوه.
تلك مزهرياتٌ عراقيةٌ من الطين
بسُحناتٍ وشُقُوق
لسنواتٍ مُتفاوتةٍ تَلفَحُها الأجواءُ والجُنوحُ والجبهات
تتمرأى فيها أشعةٌ لامرئيةٌ
لشُموسٍ لن تُشرقَ
قَطْ.

باريس (٢٠٠٦/٥/٩)

بين الأيام والمفخّخات

أيُّها العائدُ:
الكواكبُ التي تقودُكَ عمياء،
والبلادُ بوّابةٌ قديمة
يَفْتحها الموتى ليمرّوا.

في ثلاّجة الجثث
لم تزلْ أسنانُ الليلِ بيضاء،
والقططُ عند بابِ المشرحةِ
تَركُلُ بعيونٍ آدميّةٍ
كُرةَ الألغاز.

أنظرُ إلى أحذيةِ الزائرين
فأعرفُ أين يَمْضونَ بهذياناتهم،
وأينَ يُصفّفون جماجَمُهم
بين الآياتِ والمفخّخات.

طائرٌ صغير
في حديقةِ البيتِ المهجورةِ
مثل حَرَشٍ مسكون،

* - شاعرٌ من العراق

بأجنحته المضطربة،
بالتفاتة عُنقه المخطوفة،
وهوسِ منقاره.
طائرٌ يتدلّى في غُصن
يهزُّني
مثلَ حبلِ غسيل.

بيروت (٢٠٠٦/٩/٢٤)

رنـــين

هواتفٌ نقّالةٌ ترنُّ.. ترُنُّ،
تتوقفُ لبُرهةٍ ثم تعودُ للرنين
مثلَ رضيعٍ جائعٍ تخدعُهُ الأمُّ
بكسرةٍ من البلاستيك.
دقاتٌ بعيدة
كَمَنْ يَقرعُ بابًا في ليل،
أو يدُكُّ حائطًا في مخبأ.
هواتفٌ صغيرةٌ مُلقاةٌ أرضًا،
مع بقايا الملابس والأحذية المثقّبة
والملطّخة بالدماءِ والوحل،
سَتَرُنُّ طوالَ الليل عندما يخرج الجميع،
وحيدةً مثلَ أفئدةٍ تنبضُ
قبل أن تَتوقّف،
أو رئاتٍ تُعتصرُ مُختنقةً.
ستَظلُّ ترنُّ ربما لوقتٍ طويل.. طويل
دون أن تَطالَها الأذرعُ الممدَّدةُ
خلفَ الصفيحِ البارد
في ثلاّجةِ المشرحة
ببـغداد.

بيروت (٢٠٠٦/١٠/٧)

مجهولة

الجثة، بحُكْمِ التعريفِ البيولوجي،
هي المادّةُ الأقربُ إلى المجهول
لأنّها ـ وبكلِّ بساطة ـ
بابٌ صغيرٌ يُؤدّي إلى....
لا، ليستْ هيَ جناحٌ.. مَنْ قال ذلك؟!
الأجنحةُ تَغرُب في الرياح
وتلتحفُ بالغيوم،
لا بالرمال.
يَحلو للبعضِ التحدُّثُ عن ضَوءٍ،
ضوءٍ يقودُها في الماوراء.
لا.. لن يصل هذا النوعُ من الجثثِ
العراقية
إلى مثلِ هذه الممرات
لأنّها غيرُ كاملةِ الهيأة:
فهي تارةً مقطوعةُ الرأس، مَسمولةٌ
أو مَمسوخة،
أو برأس حيوانٍ.. خِيطَ في موقعِ الرأس،
أو رأسُ امرأةٍ رُكِّب فوق جسدِ رجل.
وقد تحدّث البعضُ عن «معجزة»:
فقد وَجَدوا جُثّةَ رجلٍ «حامل»
بطفلٍ في العاشرة،
يُعتقد أنّه ابنُه حسب التحليل الحمضي.
.....
.....
مجهولةً ستظلُّ.. وهي كذلكَ
على أيّ حال،
حتى عندما كانت تَضُجُّ بالدمِ
والحبرِ والدموع.
لا داعي لاستحضارِ الاسمِ والهوية
وحتى الجنس..
تكفي الأرقامُ التي ننساها في الغالب،
أو نَخْلط حصادَ يومٍ بآخر.
ولهذا لا مبرِّر لكلِّ أنواعِ النعوت.
مجهولة.. وكفى.

بيروت (٢٠٠٦/١٠/١١)

العم يعقوب (إلى يعقوب الحمداني)

قادني إلى قبرِ أبي وهو يقول:
لا لَمْ يَمُتْ.. لم يَمُتْ.
حَمَلَ جنازَتَهُ جمعٌ غفير.. آهٍ لو رأيتْ!
لسبعة أيامٍ بلياليها لم تَصمُتْ
أفواهُ الفاتحة.
لأجله رَمّمْنا مقابرَ العائلة
وهو يرقدُ في هذا الرُكن.
المكانُ مُتوجّهٌ.. وفوقَهُ القوسُ
ألم أقُلْ لك إنّه لم يُمتْ؟!
أنظر إلى القبورِ كالأكتافِ في الطواف
بينها الحركةُ لا تهدأُ ليلَ نهار؛
الحفّارونَ لا يُكلّونَ والنادبات؛
الأديمُ يَنضحُ موتًا؛
في كُلِّ لحظةٍ بابٌ يُفتحُ لمرّةٍ فقط.
هناك يرقدُ عبدُ الأمير ورشيد وإسماعيل،
وأمُّنا على مبعدةِ أمتار.
المسافة بينَهُم تغصُّ اليومَ بالغرباء
جاءوا في ليلةٍ غريبة
ضيوفٌ مؤبّدون.
.....

كان يتلفّتُ يميناً ويساراً
كمن يُنهي صلاةً ليقول:
في هذا الركن أنا سأكون.
ثم جاءوا:
صادق حسين علي جعفر
عباس محمد جاسم قاسم
عادل عبود عبد الخالق
عبد الحسين عبودي عبد علي
عبد الزهرة جمال عبد الحسن
فاطمة عبد المهدي لبيبة
سكينة علياء زهير
عبد العباس كاظم علوان
صادق حسين علي جعفر
عباس محمد جاسم قاسم
عادل عبود عبد الخالق
عبد الحسين عبودي عبد علي
عبد الزهرة جمال عبد الحسن
فاطمة عبد المهدي لبيبة
سكينة علياء زهير
عبد العباس كاظم علوان و
يعقوب....
عاد إلى ركنه هذا اليوم
فهو لم يَمُتْ.. لم يَمُتْ.
حَمَلَ جنازَتَهُ جمعٌ غفير.. آهٍ لو رأيتم!
لسبعة أيامٍ بلياليها لم تَصمُت
أفواهُ الفاتحة.

لأجله رَمّمْنا مقابرَ العائلة
وهو يرقدُ في هذا الركن.
المكانُ مُتوجّهٌ.. وفوقَهُ القوسُ
ألم أقُلْ لكم إنّه لم يَمُتْ؟!
أنظروا إلى القبورِ كالأكتافِ في الطواف
بينها الحركةُ لا تهدأ ليلَ نهار؛
الحفّارونَ لا يُكلّونَ والنادبات؛
الأديمُ يَنضحُ موتًا؛
في كُلِّ لحظةٍ بابٌ يُفتحُ لمرّةٍ فقط.
هنا يرقُد يعقوب عبد الأمير ورشيد وإسماعيل
وأمُّنا على مبعدةِ أمتار.
المسافة بينَهُم تغصُّ اليومَ بالغرباء
جاءوا في ليلةٍ غريبة
ضيوفٌ مؤبّدون،
ثم جاءوا،
ضجّةٌ من بعيد تَزحَفُ نحونا
أهي للأحياء أَمْ للموتى؟
أبوابٌ تُقرعُ
من الطارق؟
أهنا أمْ هناك؟
أهو أمْ أنا؟

بيروت (٢٠٠٦/٤/٣٠)